المحاضرة الثالثة مبادئ النسق:

1- مبدأ الكلية Principe de totalité:

إن التعريف الأكثر استعمالا للنسق هو تلك المجموعة من العناصر المتفاعلة فيما بينها، بحيث أي تغيير في عنصر من العناصر يؤدي إلى تغيير الكل بمعنى انه لا يمكن إرجاع تعريف النسق إلى مجموعه **la non sommativité** أي مجموع عناصره، أو لمجموع خصائصهم بل يمكن تعريف النسق في سيرورة التفاعل فيما بين العناصر والعلاقات التي تربيطهم.

إن سلوك أي عنصر من النسق هو انتاج لتفاعلات عديدة مع بقية العناصر وفق سياق وبنية محددة وهذه الخاصية تسمى بمبدا الكلية، فالروابط التي تجمع عناصر النسق جد وثيقة وقوية بحيث أي تغيير فقي احد العناصر يؤدي إلى تغيير الآخرين وتغيير النسق باكمله.

2- مبدأ التغذية الرجعية Principe de retroaction:

حسب المقاربة النسقية فإن التفاعلات ليست نتيجة السببية الخطية **Causalité Linérale** بل دلالة للسببية الدائرية **Causalité Circulaire**، فعلى سبيل المثال الطفل الذي يرفض تناول الطعام يكون حسب تحليل السببية الخطية (سبب و نتيجة) فالطفل إما لا يشعر بالجوع، أولا يريد مضايقة امه او طبعه سيء..إلخ، أما تحليل السببية الدائرية والتي ترتكز على ردود أفعال الطفل والأم في نفس الوقت والتي تظهر في شكل لولب بين رفض الطفل تناول الطعام وإصرار الأم على تنفيذ أوامرها تدفع هذه العوامل بدورها الطفل لرفض تناول الطعام ويشكل هذا السلوك عند الأم مزيدا من الإصرار، والنتيجة هي عبارة عن تحد متبادل فكل من الأم والطفل يشتركان في نشاط واحد اما الطعام فدوره ثانوي.

وهكذا يمكن الخروج بالغستنتاج التالي: لا الأسباب ولا طبع الطفل (السبية الخطية) مسئولون عن رفض الطعام، وإنما علاقته بأمه وسط تفاعلات اخرى (بقية عنماصر تانسق) داخل سياق معين، وفي مثل هذه الشبكات التفاعلية من الصعب إيجاد السبب والنتيجة.

إن مبدا رد الفعل مرتبط بشدة بمفهوم دائرية الاتصال، حيث ان الدائرة ليس لها بداية ولا نهاية.

3- أشكال التغذية الرجعية:

تشتمل على شكلين: الشكل الإيجابي **La rétroaction positive** والشكل السلبي La **rétroaction négative**.

أ- الشكل الإيجابي: يساعد الشكل الإيجابي على تفاقم الظاهرة إلى غاية الإنفجار مما يساعد أحيانا إلى التغير والتطور، لكنه لا يولي الإهتمام بالحاجيات الأمنية للنسق، فبقدر ما الإنفجار يؤدي ربنا إلى حل الأزمة وفك الصراع والتغيير من أجل استمرار النسق ونموه، يمكن لهذا الشكل كذلك ان تكون ردود أفعاله سببا في السب والشتم وانحلال النسق، وعليه فإن النسق المستقر ليس ذلك النسق الجامد Statique systéme، بل النسق الذي يستطيع ان يحافظ على التوازن عبر مراقبة حلقات ردود الأفعال السلبية لحلقات ردود الأفعال الإيجابية بشكل مستمر يخلق من خلالها حركية وديناميكية أشبه ما تكون بالدراجة التي تجد استقرارها في توازن قواها المتحركة.

ب- الشكل السلبي: يعمل الشكل السلبي على إضعاف الظاهرة **Phénomène** وتخفيفها مما يساعد على استقرار النسق وتوفير الحماية الذاتية له وهكذا تنسب لهذا الشكل صفة آلية الضبط Mécanisme de **régulation**، ولكنه بقدر ما يحافظ هذا الشكل على الإتزان فإنه يستطيع كذلك توليد صرامة وصلابة وغلق النسق في نظام عمل دائري بدون هدف.

وهكذا فإن الإهتمام بطبيعة النسق وردود الأفعال هو أهم بكثير من طبيعة المداخيل **Input**، أي البحث عن ماذا صنع بالمداخيل التي يرتبط ارتباطها وطيدا بنشاط النسق وهكذا عليه فطبيعة المخارج تبدو اهم (**outputs**) لمعرفة مدى تأثيرها على المحيط.

4- مبدأ المحافظة على الإتزان Le principe d'homéostasie:

إن هذا المبدأ يعتبر ميزة وخاصية من الخصوصيات المهمة للنسق المفتوح ويشمن هويته واستمراره في نفس الوقت، فالأنساق المحافظة على الاتزان الداخلي يمكنها التعايش في محيط معرض للتغيير، وتخص هذه الخاصية الأنساق الإنسانية الاجتماعية، والبيولوجية وأنساق أخرى.

يفرض المحيط سواء كان جغرافيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا او سياسيا أو عيره تغيرات تستدعي بدورها التكيف مع الوضعيات الجديدة والرجوع إلى حالات الاتزان الأولى.

تفرض مراحل الحياة من ولادة، مراهقة، زواج، امراض، وفاة...إلخ تغيرات تستدعي هي كذلك التكيف حسب الأحداث ليستقر النسق من جديد، عن طبيعة حياة الأنساق تمر من المحافظة على مبدأ الإتزان إلى التغير او التحويل لضمان الإستمرايرة والمحافظة على الهوية، أما في حالة أي إعتراض للتغيير تصبح قدرات تكيف النسق محدودة، يكون فيها هذا الأخير في حالة ضرورية لتحولات داخلية وسياقية مهمة ويقول **ب.لباربي P.Lebberrier** (1934) في هذل الصدد "أن النسق يميل لإلى التحول والاستقرار ولعبة هاتين الوظيفتين تحافظ على توازن نسق غير مستقر مؤقتا مما يضمن له إمكانيات تطور وحياة"، وعليه يعتبر مبدأ المحافظة على التوازن مبدأ نظاميا **principe d'auto régulation**

5- مبدأ تساوي الغايات Principe d'équifinalite:

يراد بهذا المبدأ حسب **فون.برتنفلاي VON BERTALANFLY (1962)** كما جاء في كتابه حول النظرية العامة للنسق ان البنية هي التي تحدد نتائج التغيير من وضعية إلى وضعية خلال مرحلة زمنية، ففي النسق الدائري مصدر التحولات الخاصة به والنتائج (نتائج التحولات) ليست محددة من طرف الظروف الأولية **Conditions initiales** أو بطبيعة السيرورة نفسها أو بثوابت النسق **(paramètre)** بل ببنيته بمعنى نفس النتائج يمكن ان تكون مصادرها مختلفة قليست بالضرورة من نفس المصدر.